موقف أسرة أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي.

الدكتور لخضر بوطبة

(قسم التاريخ والآثار، جامعة محمد لمين دباغين بسطيف)

الملخص باللغة العربية:

تعتبر أسرة أولاد مقران من الأسر المحلية الكبيرة في بايلك الشرق الجزائري خلال العهد العثماني، حيث كانت من الأسر المتعاونة مع نظام البايلك، الذي كان يعتمد عليها في فرض سلطته على القبائل والسكان، كما تعتبر من الأسر الكبيرة التي شاركت مع جيش الإيالة في مواجهة الحملة الفرنسية سنة 1830 رغم أنها كانت تعاني الضعف والتفرقة، فكيف كان موقفها من الوضع الجديد الذي أعقب الاحتلال الفرنسي حيث ظهرت المقاومتان في الغرب بزعامة الأمير عبد القادر؛ وفي الشرق بزعامة أحمد باي، كل ذلك سنحاول التطرق له من خلال هذا المقال.

Abstract

OuledMuqran’s family was one of the local families most powerful in the Algerian East Baylek during the Ottoman period,which had a cooperative relationship with the Baylek, who relied on them to impose their authority on the tribes and the population. Although the family suffered from weakness and discrimination, it participated with the regency's army to face the French military campaign in 1830, so how was its attitude against the new situation that followed the French invasion, meanwhile a resistance led by el Emir Abd-el-Kader appeared in the West, when another led by Ahmed Bey was in the East?

These are points; we try to deal with in this paperthrough more explanation and more details.

مقدمة:

تعتبر أسرة أولاد مقران من الأسر الجزائرية النافذة في منطقة مجانة وبني عباس ووادي الساحل، منذ بواكير العهد العثماني، حيث كانت تحظى باحترام السكان وتقديرهم، ثم خضوعهم لحكم الأسرة بعدما أسست إمارة كان مقرها قلعة بني عباس في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ونظرا لمكانة الأسرة وتأثيرها القوي، وتحصنها في المنطقة الجبلية (بيبان الحديد)، وتحكّمها في الطريق الرابط بين قسنطينة ومدينة الجزائر، فقد واجه الأتراك العثمانيون صعوبات كبيرة في محاولة إخضاعها لحكمهم في بداية الأمر، مما جعلهم يضطرون لتغيير سياستهم اتجاه الأسرة من التصادم إلى التحالف الذي توج بالمصاهرة، حتى يتمكنوا من ربط بايلك الشرق بمقر الحكم المركزي في دار السلطان. ونظرا لقوة الأسرة وتربعها على مساحات شاسعة في المنطقة، فقد كان من المنتظر أن تلعب الدور الفعال في مقاومة عملية الاحتلال الفرنسي وتوسعه شرقا وغربا، باعتبار أن الأسرة ظلت تدافع عن سيادتها واستقلالها طوال فترة الحكم العثماني.فكيف كان موقف الأسرة بجميع فروعها من الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وماهو موقفها من مقاومة أحمد باي ببايلك الشرق؟ وكيف كانت علاقتها بالأمير عبد القادر منظم المقاومة المسلحة ببايلك الغرب؟ وكيف تعامل الفرنسيون مع الأسرة بعد تمكنهم من احتلال البلاد؟ وبماذا تميزت السياسة الفرنسية اتجاه الأسر الكبيرة النافذة؟

1. نبذة عن تاريخ الأسرة خلال العهد العثماني:

قبل التطرق لموقف أسرة المقرانيين من الاحتلال الفرنسي، يجدر بنا أولا إعطاء نبذة عن تاريخ هذه الأسرة.

تنحدر أسرة أولاد مقران التي ارتبط اسمها بثورة البشاغا محمد المقراني التي اندلعت عام 1871 ضد الاستعمار الفرنسي من الشيخ عبد الرحمان الذي جاء من بلاد المغرب الأقصى في حوالي عام 1490م حسبما يذكر فيرو[1] واستقر بقرية بني عباس عند أعالي جبال بيبان الحديد، وأستطاع أن يؤسس إمارة محلية متخذا من القرية السابقة الذكر عاصمة لحكمه، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد الذي وسع من حدود الإمارة ولقب نفسه بالسلطان، ثم جاء بعده ابنه السلطان عبد العزيز الذي عرفت الإمارة في عهده أوج قوتها وعنفوانها، وهو من عاصر مجيء الأتراك إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر، وهذا ما أشار إليه الورثلاني في رحلته حيث ذكر أنه عندما مر بمجانة، كان يحكمها سلطان يدعى محمد بن أحمد بن القندوز المقراني العباسي، حفيد الشريف سيدي أحمد بن عبد الرحمن، الذي كان مرابطا خلال القرن التاسع الهجري(السادس عشر الميلادي)، وكان له ولد هو أحمد الذي شيد قلعة بني عباس، وأسس المملكة خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، حيث نظم الجيش وفرض الضريبة، ووسع المملكة حتى بلغت حدود تونس ووادي ريغ، وجنوبا حتى

ميزاب والأغواط، وقد عمرت هذه المملكة ثمانين عاما، حتى زالت بمقتل السلطان سيدي ناصر على يد بني عباس حسب اعتراف أحد علماء القلعة[2]. وتميزت علاقة سلاطين إمارة بني عباس بالحكام الأتراك تارة بالود والتحالف والتعاون وفق مبدأ المصالح المتبادلة، حيث كان الأتراك يستعينون بسلاطين هذه الإمارة في حكم المنطقة الواقعة غرب بايلك الشرق الجزائري مقابل امتيازات كانت تمنح لهم، وتارة أخرى تميزت العلاقة بالتوتر والصراع والحروب، كلما حاول الحكام الأتراك الإنقاص من نفوذ وسلطة المقرانيين بتلك المنطقة، أو المساس بسيادتهم على المناطق التابعة لنفوذهم[3]، وقد تمتعت الأسرة بنفوذ وسلطة كبيرين سواء في عهد الإمارة في قلعة بني عباس أو في عهد المشيخة بمنطقة مجانة[4]، وقد حمل المقرانيون هذا اللقب نسبة إلى جدهم أمقران ابن أحمد بن عبد الرحمان، وكلمة أمقران هي كلمة أمازيغية تعني الكبير أو الزعيم، أي كبير القبيلة أو القوم[5]، وقد لعبت أسرة أولاد مقران دورا سياسيا وعسكريا واقتصاديا بارزا في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تعتبر من الأسر المحلية الكبيرة التي كان يعتمد عليها الحكام العثمانيون في حكمهم للإيالة الجزائرية طوال فترة تواجدهم بها التي تربو عن الثلاثمائة وعشر سنوات.[6]

وقبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830[7]، كانت أسرة أولاد مقران تعاني الضعف والانقسام بسبب الحروب التي نشبت بين زعمائها منذ زمن بعيد، والتي تسببت في انقسام الأسرة إلى عدة فروع أو صفوف متناحرة، حيث كان كل صف يرى أنه الأحق والأجدر بحكم مشيخة مجانة، وكان الحكام الأتراك يعملون باستمرار على تغذية ذلك الصراع من أجل السيطرة على الأسرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وبالرغم من ذلك الضعف،ظلت الأسرة تحتفظ بشهرتها ومكانتها ونفوذها لدى سكان المنطقة في بداية الاحتلال.

2. موقف أسرة أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي:

من المعروف تاريخيا أن فرنسا كانت طامعة في احتلال الجزائر منذ وقت مبكر، لكنها لم تتمكن من تحقيق أطماعها بسبب قوة الجزائر حينها، ومع مطلع القرن التاسع عشر شهدت الإيالة الجزائرية نوعا من الضعف الذي اعتراها في جميع الأصعدة، لاسيما في المجال العسكري، وهو الوقت الذي حققت فيه القوى الأوروبية التقدم في هذا المجال، مما أدى إلى تراجع نشاط القرصنة الجزائرية في البحر المتوسط، وبالتالي تراجع إقتصادها، وقد صاحب ضعف الإيالة ضعف السلطنة العثمانية، مما ساعد على تكالب القوى الأوروبية على الجزائر، حيث باتتقضية القرصنة الجزائرية قضية دولية طرحت في المحافل الدولية بشكل جدي (مؤتمر فينا وإكس لاشابال على وجه التحديد)، فراحت فرنسا تبحث لها عن ذريعة لكي يتسنى لها القيام بحملة لاحتلال الجزائر، فكانت حاثة المروحة المفبركة التي أعقبها إعلان الحصار البحري (1827) ثم شن حملة عسكرية انتهت باحتلال الجزائر في جويلية 1830 ولم تستطع الدولة العثمانية أن تمنع هذا الغزو.[8]

لقد مرت مواقف أسرة أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي بمرحلتين رئيسيتين: مرحلة المقاومة، ومرحلة الاستسلام والتعاون مع الفرنسيين.

أ- مرحلة المقاومة:

عندما نادى الداي حسين كل القبائل والأسر الكبيرة للمشاركة في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية[9]، تناسى أولاد مقران أحقادهم وتركوا صراعهم وهبوا جميعا لتلبية نداء الداي، ودعا بن عبد الله كبير الأسرة وشيخ مجانة آنذاك الأسرة إلى تكوين القوم[10] وأسند قيادته إلى كل من محمد بن عبد السلام وأحمد بن محمد، وبقي هو بمجانة بسبسنه المتقدم، وسار القوم من أولاد مقران مع أحمد باي إلى مدينة الجزائر، وكانت مشاركة المقرانيين وقواتهم في صد الحملة الفرنسية فعالة بشهادة الفرنسيين أنفسهم، حيث ذكروا أن دور فرسانهم كان بارزا في معركة سيدي فرج، وأن الفرنسيين عانوا كثيرا من مقاومتهم الباسلة.

وعندما سقطت مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين، عاد أحمد باي ومعه أولاد مقران، إلى قسنطينة فرافقه أحمد بن محمد وكان إلى جانبه يدافع عنه ضد أعدائه، وعندما دخل منطقة البيبان اعترض سبيله ابن القندوز المقراني على رأس قوة كبيرة من القبائل الحاقدة على الباي وهي: أولاد عامر، أولاد عبد النور، التلاغمة، ريغة القبالة، وقبائل فج مزالة (فرجيوة)،[11] ولكن الباي تمكن من الإفلات منه باستخدام الحيلة والمكر، حيث كتب رسالة إلى ابن القندوز السابق الذكر يعده فيها بتنصيبه على مشيخة مجانة إن تركه في حال سبيله، ودعاه للقائه في خيمته حيث كان يقيم بمجانة، فلما حضر ابن القندوز قام بإلقاء القبض عليه، فزاد ذلك من نقمة السكان وثورتهم، وتمكنوا من اللحاق به رغم فراره، وبينما نزل أحمد باي ضيفا على قبيلة أولاد عبد النور[12]، وكان شيخ هذه القبيلة صهر أسير الباي (ابن القندوز)، نجحت ابنة شيخ هذه القبيلة (زوجة الأسير) في إثارة القبيلة وتأليبها ضد الباي والضغط عليه من أجل إطلاق سراح زوجها.[13]

وفي وسط عدد كبير من الثائرين الحاقدين على الباي، تمكن من النجاة وللمرة الثانية بأعجوبة من موت محق، إذ مكنته حيلته ودهاؤه من الفرار من الأعداء بعد أن قتل بن القندوز شنقا، وأسرع بطلب النجدة من أخواله أولاد بن قانة ملوك الصحراء، وقد تمكن الثائرون من اللحاق به وكان عددهم كبيرا، بحيث كان يستحيل على الباي وأتباعه التغلب عليهم، ومن حسن حظ هذا الباي أن وصول أولاد بن قانة بقوة كبيرة لإنقاذه جاء في الوقت المناسب، وتمكنوا من تفريق أعدائه. فتمكن من عبور المنطقة بسلام.[14]

ويبدو أن متاعب الباي لم تنته بعد، فلما وصل إلى أبواب مدينة قسنطينة فوجئ بانقلاب الانكشارية عليه بتواطؤ مع بعض سكان هذه المدينة، حيث قاموا بتعيين محمود بن شاكر باي ومنعوا

الباي من دخول المدينة لكنه تمكن من دخولها بفضل براعة والدته الحاجة رقية التي حصلت على فتوة من علماء المدينة لفتح أبواب المدينة أمام الباي[15]، وبعد أن تمكن الباي من العودة إلى مقر حكمه وانتقم من المتآمرين عليه، خرج لعقاب القبائل الثائرة من أولاد مقران بزعامة صهره محمد ابن عبد السلام وشيخ مجانة ابن عبد الله، وكان صف ابن عبد السلام يتكون من قبائل: أولاد يلس، أولاد ماضي، أولاد موصلي، أولاد بوضياف وأولاد عبد النور التلاغمة وريغة الظهارة، لكنه لم يتمكن من إخضاعها وعاد إلى قسنطينة.[16]

وما أن تمكن الباي من التحرر من قبضة الثائرين حتى سمع بحركة تمرد تزعمها الباي الأسبق إبراهيم الكريتلي[17]الذي يبدو أنه أراد أن يغتنم الفوضى التي عمت البلاد بعد الاحتلال الفرنسي، حيث جمع القبائل الحاقدة على الباي أحمد، مدعيا أن الفرنسيين عينوه بايا على قسنطينة [18]، وكان بن عبد السلام المقراني ومقورة بن عاشور شيخ فرجيوة من بين الذين التفوا حوله وسار بهم في اتجاه قسنطينة، وفي طريقه خيّم عند قبيلة أولاد عبد النور ثم التحق بهم فرحات بن سْعَّيدعلى رأس قوة كبيرة من عرب الصحراء، فخرج أحمد باي لقتالهم، ولكنه عندما علم بكثرة عددهم فكر في حيلة لتفريق شملهم وتمزيق صفوفهم وإضعاف قوتهم، فهداه دهاؤه لتقديم المال لشيخ قبيلة أولاد سحنون مقابل سحب جيشه ففعل هذا الأخير، فلما رأى إبراهيم الكريتلي جيشه بدأ يتفرق اضطر للانسحاب مع ما تبقي معه من المقاتلين، فخرج الباي أحمد منتصرا من هذه المعركة.[19]

ويبدو أن محمد بن عبد السلام لم يكن راضيا على سياسة صهره الحاج أحمد باي الذي أسند مشيخة مجانة [20] إلى عدوه ومنافسه أحمد بن محمد المقراني، ولا نجد هنا تفسيرا وجيها لانحياز أحمد باي إلى جانب أحمد بن محمد، غير أن أغلب المؤرخين يُرجعون سبب ذلك إلى استماتة أحمد بن محمد في القتال دفاعا عن الباي ضد قبائل التيطري الذين اعترضوا سبيله حينما كان عائدا من مدينة الجزائر إلى عاصمة إقليمه في قسنطينة، فكافأه الباي على ذلك بتوليته مشيخة مجانة، وقد دفع هذا التعيين محمد بن عبد السلام إلى إقدامه على الانتقام من صهره فكان على رأس مجموعة من الشيوخ تتألف من: صالح بن يلس[21] شيخ أولاد عامر وفرحات بن سْعَّيد [22] وبوعكاز بن عاشور [23] وشيخ أولاد ماضي سي بوضياف، فاتصلت هذه المجموعة بالحاكم برثيزين (Berthézène) بمدينة الجزائر تعرض عليه استعدادها للاستسلام والتعاون مع الفرنسيين مع كل القبائل التي تحت زعامتها للإطاحة بأحمد باي،[24] ويذكر فيرو أن الفرنسيين لم يردوا على رسالتهم بسبب انشغالهم بأحداث الحملة والصعوبات التي واجهوها [25].

أما مرسي فيذكر أن اتصال هذه الجماعة بالفرنسيين كان عام 1837 وليس كما ذكر كل من رين وفيرو[26]، لكنه لم يذكر لنا ما إذا كان ذلك قبل احتلال الفرنسيين لقسنطينة أم بعده؟

وعلى أية حال، فإن محمد بن عبد السلام عندما يئس من مساعدة الفرنسيين له للانتقام من صهره أحمد باي، وجه أنظاره نحو باي تونس وكتب له يعرض عليه التحالف معه للقضاء على أحمد باي وغزو البايلك، ولسوء حظه أن الباي أحمد علم بتلك المراسلة، وتمكن من القبض عليه، وكاد أن يقتله لولا توسلات زوجته عيشوش (ابنة محمد بن عبد السلام)، فاكتفى بوضعه في سجن القصبة.[27]

وأثناء الحملة الفرنسية الثانية (1837) على مدينة قسنطينة،تمكن الفرنسيون من اقتحام المدينة فانتهز محمد بن عبد السلام فرصة الفوضى التي عمت المدينة، وتمكن من الفرار من السجن في يوم 13 أكتوبر من نفس السنة والتحق بمجانة، حيث أعاد جمع القوة واستمال فرسان الحشم إلى جانبه، وأعلن نفسه الحاكم الشرعي للمشيخة في غياب خصمه أحمد بن محمد الذي كان ملازما للباي أحمد.[28]

وبرجوعنا إلى مذكرات الحاج أحمد باي، وجدنا أنه لم يشر إلى ذلك، في حين يذكر أنه أثناء مفاوضاته مع الفرنسيين قام باستدعاء كل جيوش مقاطعة إقليمه إذ يقول:« *وقد هب جميع القادة لتلبية ندائي وأذكر من جملة من حضر: أحمد المقراني ومحمد بن عبد السلام المقراني وولد بن عبد الله المقراني وشيخ أولاد الحداد...*».[29]

وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن عبد السلام في صراع مع صهره أحمد باي، ظل خصمه وابن عمه أحمد بن محمد(شيخ مجانة) مخلصا ووفيا للباي أحمد طوال فترة حكمه للبايلك، وكان إلى جانبه في كل المحن التي واجهها الباي المذكور،[30] ومن ذلك وقوفه إلى جانبه في الدفاع عن مقر حكمه (قسنطينة) ضد الحملة الفرنسية الأولى عام 1836 [31] وكذا في الحملة الثانية سنة 1837، حيث ذكر رينRinn أن الفرنسيين عانوا من مضايقة أحمد بن محمد المقراني وجيشه.[32]

وعندما سقطت مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين، وانسحب أحمد باي إلى الجنوب وعرض عليه أحمد المقراني اللجوء إلى قلعة بني عباس أو إلى جبال المعاضيد، لكن الباي فضل الذهاب إلى الصحراء حيث أقاربه أولاد بن قانة[33]، عند ذلك عاد أحمد المقراني مع ما تبقي معه من الرجال إلى مشيخته بمجانة لكنه وجد ابن عمه وخصمه محمد بن عبد السلام قد استولى عليها، ومنعه من الدخول إليها فلجأ إلى قلعة بني عباس التي ظل سكانها أوفياء للأسرة [34] لكن رين يذهب إلى القول إن بني عباس والقبائل القريبة من القلعة منها سكان ثازايرت وأزرو وقسم من إغيل علي والشواريخ [35] أظهروا لأحمد بن محمد عداءهم ورفضوا استقباله فلجأ إلى قبيلة بني عيدل بالماين[36]، غير أن هؤلاء كما يذكر يحي بوعزيز ناصبوه العداء، فلم يكتفوا برفضهم استقباله والاعتراف به كزعيم عليهم، بل ذهب الأمر بهم إلى أبعد من ذلك، حين قاموا بالقبض عليه وتسليمه لعدوه محمد بن عبد السلام

الذي نفاه إلى منطقة الحضنة بعد أن تعهد له بعدم العودة ثانية إلى مجانة[37]، فاستأثر بذلك محمد بن عبد السلام بحكم مجانة لوحده.

وبناء على قول المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي، فإن القائد الفرنسي "دو روفيقو" قد اتصل بمحمد بن عبد السلام المقراني لتأليبه ضد أحمد باي[38]، ولكن التميمي لم يحدد تاريخ اتصال هذا القائد بمحمد بن عبد السلام، ونعتقد أنه يقصد اتصال بن عبد السلام بالفرنسيين وليس العكس.

وحسب ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله، فإن الفرنسيين يكونون قد اتصلوا أيضا بمحمد بن القندوز المقراني في محاولة منهم لتأليبه ضد عدوهم أحمد باي لعلمهم بعدائه الشديد له.[39]

وخلاصة القول أن أسرة أولاد مقران كانت من الأسر المحلية الكبيرة التي هبت للدفاع عن مديينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية، وان انقسام الأسرة أثر في مواقفها اتجاه أحمد باي ومقاومته، حيث ظل أولاد الحاج الفرع الحاكم بمجانة وفيا ومخلصا للباي أحمد حتى نهاية مقاومته واستسلامه.

- أولاد مقران والأمير عبد القادر:

يعتبر الأمير عبد القادر[40] من أبرز رجالات المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، حيث اشتهر بمقاومته الاحتلال في منطقة الغرب الجزائري لمدة تزيد عن الثماني عشرة سنة، تمكن خلالها من انتزاع اعتراف فرنسا بدولته.

وبعد توقيع الأمير عبد القادر مع الفرنسيين معاهدة تافنة عام 1837، تفرغ لتنظيم شؤون دولته، فقام بتقسيمها إداريا إلى ثماني مقاطعات، ووضع على رأس كل منها خليفة، وكانت مجانة إحدى تلك المقاطعات، وجعل عاصمتها سطيف،[41] وفي إطار تنظيم الدولة وتنصيب الخلفاء الذين يمثلون سلطته في الأقاليم التي كان يستولي عليها، سافر الأمير عبد القادر إلى منطقة الونوغة قرب سور الغزلان، وما أن علم الخصمان محمد بن عبد السلام وأحمد بن عبد السلام بقدومه حتى أسرع كل منهما للقائه، وكل منهما حمل هدايا ثمينة تليق بمقام الأمير، وعرض عليه كل منهما خدماته ومساعدته، طمعا في منصب الخليفة على مجانة[42]، ويذكر يحي بوعزيزفي هذا السياق أن الأمير عبد القادر هو من كاتب زعماء القبائل والأسر الكبيرة، ومن بينهم بن عبد السلام المقراني لكي يستميلهم إلى جانبه[43]، ومهما يكن من أمر فقد وقع اختيار الأمير على محمد بن عبد السلام باعتباره صاحب السلطة الحقيقي على أولاد مقران، ولأن أحمد بن محمد كان صديقا وحليفا لخصمه أحمد باي، انضم إليه صف أولاد القندوز الحاقدين على أحمد باي فحظيوا هم أيضا بقيادة منطقة الحضنة.[44]

وقد أدى تعيين محمد بن عبد السلام خليفة على مجانة من طرف الأمير عبد القادر إلى عودة الصراع والقتال بين الخصمين، حيث قرر أحمد بن محمد منع بن عبد السلام من الدخول إلى مجانة، وذلك بعد أن جمع قوة من قبائل حوض الصومام وبني عباس، في حين كان بن عبد السلام يعتمد على قبيلة الحشم وأولاد ماضي وبعض مرابطي المنطقة، وقام بن عبد السلام حينها بتجريد صف أولاد الحاج من كل القوة والنفوذ الذي كانوا يتمتعون به بمجانة والمناطق المجاورة لها.[45]

من كل ما سبق، يمكننا القول إن الصراع بين أحمد باي والأمير عبد القادر كان له تأثير في صراع شيوخ أولاد مقران.

ب- مرحلة الاستسلام والتعاون مع الفرنسيين:

عندما شعر أحمد بن محمد المقراني بالتهميش والإقصاء وضياع النفوذ والسلطة نتيجة إبعاده عن مجانة كما رأينا، بدأت تراوده فكرة الاستسلام والخضوع للفرنسيين، فاتصل بصديقه بوعكاز بن عاشور[46] شيخ فرجيوة، وأعرب له عن نيته في الاستسلام، ثم كتب إلى الخليفة علي بن باحمد الذي شجعه على الذهاب إلى الفريق غالبوا(Galbois) في قسنطينة دون خوف أو تردد، فذهب إليه في أوائل شهر جويلية 1838، فقام هذا الأخير بتعيينه في بداية الأمر قائدا على قبيلة أولاد عامر ناحية سطيف بصفة مؤقتة، وكان الفرنسيون قد عينوا بن هني بن يلس خليفة على مجانة،[47] كرد فعل على تعيين محمد بن عبد السلام على مشيخة مجانة من طرف الأمير عبد القادر، وكان هدفهم ضرب الأسرة ومشيخة مجانة في آن واحد.

وقد تلقى أحمد المقراني تعيينه قائدا على أولاد عامر كما سبق الذكر بمرارة، لكنه أظهر للفرنسيين ولاءه كخطوة أولى في سبيل تحقيق ما كان يطمح إليه من استعادة مكانته ونفوذه، وبالفعل لم يمض وقت على ذلك حتى تم تعيينه في منصب خليفة مجَّانة، وذلك بعد مقتل بن هني بن يلس في إحدى المعارك التي كان يخوضها الجيش الفرنسي ضد قبيلة ريغة القبالة في شهر سبتمبر من نفس السنة،[48] حيث قام الجنرال فالي(Valée) شخصيا بتنصيبه في يوم 24 أكتوبر عام 1838 في حفل بهيج بقصر الباي بقسنطينة، ووقع الخليفة على وثيقة التعيين بعد أن أدى اليمين بحضور عدة شخصيات وطنية وفرنسية مهمة.[49]

وقد باشر الخليفة أحمد بن محمد المهام المنوطة به دون أن يلتحق بمركز المشيخة بمجانة التي لم يلتحق بها إلا بعد عام من تنصيبه، وذلك بسبب وجود خليفة الأمير عبد القادر محمد ابن عبد السلام بها، وخضوعها لسلطة الأمير، وكان الخليفة ابن عبد السلام مدعوما بجيش نظامي يتكون من 300 جندي من المشاة النظاميين، و50 فارسا نظاميا، بالإضافة إلى أفراد فرع أولاد عبد السلام

وأولاد القندوز المتعاونين معه [50]وكانت السلطة الاستعمارية تستهدف ضرب ابن عمه خليفة الأمير عبد القادر على نفس المشيخة.[51]

وهكذا وضع أحمد بن محمد المقراني نفسه في خدمة السلطات الاستعمارية التي وضعت سياسة جديدة تتمثل في التعامل مع الأسر الكبيرة ذات النفوذ، وذلك بالحفاظ على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها خلال العهد العثماني، مقابل تعاونهم معها في التوسع والاستيطان والقضاء على المقاومة.

كانت سلطة الخليفة أحمد بن محمد تقع على المناطق التي لم تتمكن الإدارة الاستعمارية من حكمها بصورة مباشرة، فهي تمتد من بايلك التيطري وبرج حمزة (البويرة) غربا حتى مشيخة فرجيوة شرقا، ومن البيبان حتى مشيخة ابن قانة جنوبا.[52] فكان يتحكم في قبائل برج حمزة، الجلفة، الحضنة، بوسعادة، أولاد نايل، بسكرة، وحوض وادي ريغ،[53] والجهة الغربية من جبال الونوغة ومزيطة، وشفعة والقرقور، وكانت هذه القبائل تدفع الضرائب إما نقدا أو كمنتجات زراعية.[54]

وقد حدد قرار تعيين أحمد ابن محمد خليفة على مشيخة مجانة مهامه فيما يلي:

- تنصيب شيوخ القبائل الخاضعة لسلطته.

- تقديم المرشحين للقيادات للقائد العام بقسنطينة لتعيينهم.

- تحصيل الضرائب المتنوعة لحساب السلطة الفرنسية، مع احتفاظه بثلث ضريبة الحكور مقابل أتعابه.

- القضاء بين الأهالي حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية.

- يساعده فرق الصبايحية في فرض سلطته على المناطق التابعة له، وكذلك في عملية تحصيل الضرائب، وتكون مسؤولية ورواتب هذه الفرق على حساب السلطة، ويخضع الخليفة مباشرة للقائد العام لمقاطعة قسنطينة.[55]

ويذكرالرائد شارل فيروCharles Féraud(أحد كتاب ومترجمي الجيش الفرنسي في الجزائر) أنه في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون يجهلون تماما طبيعة البلاد وكيفية فرض سلطتهم في الجهة الغربية من بايلك قسنطينة، قدم لهم الخليفة أحمد المقراني خدمات جليلة لا يمكن تجاهلها أو نسيانها، فقد لعب دورا فعالا في استقرار المنطقة والوقوف في وجه الأمير وأتباعه.[56]

ويؤكد كاتب فرنسي آخر وهو إرنست كاريتErnest Carette حقيقة المساعدات التي قدمها الخليفة أحمد المقراني للفرنسيين أثناء عبورهم منطقة البيبان، ويذكر أيضا أن ضعف الأسرة

وانقسامها ساعد الجيش الفرنسي على التوسع في المنطقة، ويقول الكاتب نفسه: كان يكفي وجود أحمد المقراني بين صفوف القوات الفرنسية لخضوع قبائل عديدة في المسيلة وبوسعادة وغيرها،[57] وهو ما أكده أيضا الأستاذ حميدة عميراوي حيث يقول إن أحمد المقراني لعب دورا فعالا في تمكن الفرنسيين من بسط نفوذهم على مناطق كثيرة في البرج والمسيلة والحضنة وأولاد نايل،[58] كما تمكن هذا الخليفة بمساعدة الفرنسيين من التخلص من خصومه من باقي أفراد الأسرة[59] وخاصة ابن عمه ومنافسه محمد بن عبد السلام الذي يذكر بيليسيPélissier de Reynaudأنه قاوم الجيش الفرنسي مقاومة عنيفة، وأصبح الخليفة الحاكم المطلق لمشيخة مجانة.[60]

ولعل أعظم خدمة قدمها الخليفة أحمد بن محمد إلى الفرنسيين هي تميكنهم من عبور مضيق البيبان، الذي لم يكن الأتراك يعبرونه إلا بعد دفع ضريبة العبور لشيوخ أسرة أولاد مقران أو بإذن منهم، وقد مكنهم عبور منطقة البيبان من ربط بايلك الشرق بمدينة الجزائر.

ونخلص إلى القول إنه كان للصراع بين شيوخ أسرة أولاد مقران، دور في انقسام مواقف الأسرة من مقاومة أحمد باي، ومن الاحتلال الفرنسي، وكان من نتائج ذلك الصراع استسلام أحمد بن محمد الذي مكن الاحتلال من إخضاع الأسرة بجميع فروعها، ويمكننا القول أيضا إن استسلام أحمد بن محمد للفرنسيين لم يكن حُبا فيهم، أو ضُعفا في إيمانه، أو نقصا في شهامته وشجاعته، وإنما كان بهدف الاستعانة بهم ضد أعدائه من أفراد الأسرة واسترجاع حكم مشيخة مجانة التي كان يرى أنها من حقه، كما أن خصمه محمد بن عبد السلام انضم إلى صف الأمير عبد القادر بهدف القضاء عليه، ونكاية في أحمد باي، وفيما يتعلق باستسلام كل فروع الأسرة، فقد حدث ذلك بعد أن ضاقت بهم السبل وحاصرتهم القوات الفرنسية من كل جهة.والسؤال الذي يجب طرحه هو: هل استمرت هذه الأسرة في تقديم خدماتها لسلطات الاحتلال؟

3. علاقة المقرانيين بالفرنسيين بعد 1838 وظروف قيام ثورة 1871:

بعد أن استسلم أحمد المقراني للفرنسيين أصبح عونا لهم في المنطقة التي كانت تحت حكم الأسرة منذ العهد العثماني، وقد عاد استسلامه والخدمات الجليلة التي قدمها للسلطات الاستعمارية بالنفع الكبير عليها، حيث يذكر لويس رين بهذا الصدد أن استسلامه وخضوعه كان نقطة البداية لعلاقاتهم "مع العائلات الكبيرة في مقاطعة قسنطينة.احتوى على نوع من العقد التراكمي بين فرنسا وخلفائها."[61]وكان هؤلاء الشيوخ يمثلون السلطة الفرنسية في مناطقهم التي لم تكن خاضعة بعد للحكم الفرنسي المباشر، فهل كان هؤلاء الشيوخ يعتقدون أن حكمهم سيكون للأبد ولذلك قبلوا هذه المناصب؟

لقد اتبعت السلطات الفرنسية منذ احتلال الجزائر إلى غاية 1870 سياسة استمالة العائلات الأرستقراطية الكبرى وكذا العائلات المرابطية ذات النفوذ الكبير، حيث أسندت الوظائف لزعمائها، مثل وظيفة الخليفة، القايد، البشاغا والآغا، لتتمكن بواسطتهم من السيطرة على السكان وإخضاعهم بسهولة دون عناء،[62] ويبدو أنها اتبعت هذه السياسة لما كانت في حاجة ماسة لخدمات هذه الأسر، نظرا لحداثة عهدها بالبلاد من جهة، ولأنها كانت في مرحلة التوسع ومد سلطاتها على كامل التراب الوطني، ولم تكن تريد الاصطدام بمقاومة الأهالي من جهة ثانية.

فلما تمكنت من بسط نفوذها، وهيمنت على المناطق الاستراتيجية، شرعت في سياسة تهدف إلى الحكم المباشر دون وسائط، ومن ثمة الاستغناء التدريجي عن خدمات العائلات السابقة الذكر، فعمدت للتقليل من شأنها، وتقزيم أدوارها من خلال تقليص مناطق نفوذها، والحد من صلاحيات زعمائها وشيوخها، فعملت على تحويلهم من حلفاء لها إلى مجرد موظفين تحت سلطات قادتها، وتنفيذا لتلك السياسة الممنهجة والمدروسة،قامت بإنزال رتبهم من مركز الخليفة إلى البشاغا ومن الآغا إلى القايد وهو ما فعلته مع عائلة المقراني وغيرها مما ساهم في قيام الثورة عام 1871.[63]

وقد بدأت مؤامرة الفرنسيين ضد أسرة المقراني منذ سنة 1840 وتزايدت بعد وفاة أحمد المقراني خليفة مجانة في أفريل 1853، حين عينت ابنه محمد برتبة باشاغا مجّانة وليس خليفة كما سبقت الإشارة إليه.[64]

لقد اعتبر الباشاغا محمد المقراني تنزيل رتبته بمثابة مساس خطير بسمعته وكرامته، وهو الذي كان يخدم فرنسا بتفان وإخلاص، والحقيقة أن هذا الإنزال لم يكن يستهدف هذا الباشاغا فقط، بل كان يهدف للقضاء على قوة آل المقراني وتحطيمهم وكسر كبريائهم، وذلك من خلال الإجراءات الأكثر إذلالا، التي توالت تباعا والتي كانت تهدف لحرمان هذه الأسرة من الموارد الضريبية التي اعتادت الأسرة جمعها منذ القرن لسادس عشر أيام الحكم العثماني، بالإضافة إلى فرض ضريبة على قبائل كانت تابعة لنفوذ الأسرة،لم تكن معتادة على دفعها، كما ألغت أعمال السخرة التي كانوا يستفيدون منها، وهنا نلاحظ أن سلطات الاحتلال كانت تتمادى في إذلال الأهالي من خلال إثقال كواهلهم بالضرائب حتى تدفعهم للاضطرار والتخلي عن أراضيهم التي هي رأس مالهم الوحيد، وأصبحوا يبحثون عن أعمال السخرة التي كانت مصدر رزق الكثيرين منهم.[65] وبالإضافة إلى ذلك، قامت بتعويض وكلائه بقياد وشيوخ يتبعون لسلطة القائد السامي الفرنسي، والإجراء الآخر المهين والمستفز لكرامة الأسرة وهيبتها هو مصادرة 5000 هكتار كانت تنتفع بها الأسرة في نواحي برج بو عريريج وغيرها.[66]

ولم تتوقف الإدارة الفرنسية عند هذا الحد، بل واصلت تصرفاتها للنيل من شخصه من خلال تماديها في إهانته، وهو صابر على مضض كما يقول جوليان.[67]

وعلى الرغم من أن شيوخ الأسرة أعلنوا جميعهم خضوعهم للسلطات الفرنسية التي وظفتهم في مناصب مختلفة خدمة لمصالحها، إلا أن الصراعات والضغائن فيما بينهم استمرت قوية آنذاك رغم أنها لم تطفُ على السطح بشكل جلي، ولا شك في أنه كان للإدارة الفرنسية يد في استمرار هذا الصراع والنزاع، وذلك وفق المبدأ الذي لن تحيد عنه، والذي كان الأتراك حريصين على تطبيقه في تعاملهم مع القيادات المحلية، وهو مبدأ " فرّق تسدdiviser pour régner"، وكان الشيخ عبد السلام قائد عين تاغروت (21 كلم شرق برج بوعريريج)من أشد خصوم الباشاغا محمد، إذ كان يسعى بكل الوسائل والطرق لإزاحته عن حكم مشيخة مجانة، بدعم من العقيد بونفالي Bonvalet.[68] وتجدر الإشارة إلى أن المعمرين في منطقة البرج كانوا متخوفين من تعاظم نفوذ الباشاغا محمد المقراني، فكانوا يكنون له العداوة ولم يتوانوا في السعي للإساءة إليه بغرض التخلص من نفوذه القوي، وكان لشخصية الباشاغا القوية دور في تزايد خصومه، سواء من الأهالي أم من الفرنسيين، ذلك أن مكانة أسرته وماضيها العميق جعلته يتعامل مع الفرنسيين من مركز قوة، وكان يعتبر نفسه حليفا لهم أكثر من كونه موظفا في إدارتهم.[69]

وعلى الرغم من الخدمات الجليلة التي قدمتها الأسرة للسلطات الفرنسية عن طريق الخليفة أحمد المقراني وابنه الباشاغا الذي سار على نهج والده، إلا أن هذا الأخير طُعن في الظهر من خلال تنصل السلطة الفرنسية وتنكرها له تدريجيا، مما يؤكد بما لا يدع أي مجال للشك أن هذه الأخيرة كانت تخطط منذ البداية للتخلص من هذه الأسرة، وأن تقريبها منها لم يكن في الحقيقة سوى تكتيك واستراتيجية، الغرض منها كسب المزيد من الأتباع والوقت أيضا.وقد أكد لويس رين هذا حينما قال إن هؤلاء القادة المحليين لم يريدوا أن يفهموا أنهم هنا تحت سلطة فرنسا وأن عليهم تنفيذ أوامرها فقط.[70]

ومهما يكن من أمر، فإن الباشاغا محمد المقراني قد أدرك نوايا السلطة الفرنسية في التخلص منه وذلك من خلال الأحداث التي كانت تتسارع، وكان هو يتحمل الإهانات على مضض، ويتحاشى الاصطدام مع الإدارة الاستعمارية، ومن ذلك أنهكان يتحاشى قدر الإمكان أي ضلوع في أحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ، حتى لا تجد السلطات الاستعمارية أي علاقة له بهذه الثورة، لأنه كان يدرك أنها لن تتوانى عن القضاء عليه بمجرد شكها في وجود علاقة له مع هذه الثورة.

وكانت علاقة المقرانيين بالفرنسيين ودية وطيبة بصفة عامة، مبنية على المصلحة المشتركة، ماعدا بعض الفروع التي ظلت ممتنعة بسبب عدائها للخليفة أحمد، وكان للخليفة وابنه الباشاغا علاقات صداقة شخصية مع العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية. فشيوخ الأسرة كانوا متعاونين مع السلطات الفرنسية في المنطقة التي كانت تابعة لحكمهم منذ القدم، وفق تقاليدهم وعاداتهم، وكانت القبائل تدين لهم بالولاء والطاعة، وطالما لم تتعرض السلطات الفرنسية لمكانة

ونفوذ الأسرة فإن السلم مستمر، ولكن السلطات الفرنسية كانت تضمر العداء لهذه الأسرة، وكانت تتوجس منها خيفة، غير أن الظروف لم تكن مناسبة لكي تظهر لها العداء، ولعل من بين الخدمات التي قدمتها الأسرة للفرنسيين وقوفها إلى جانبها في مواجهة ثورة الشريف بوبغلة (1851-1854) لما حاول مد ثورته في منطقة بني عباس الحصينة، حيث تصدى له المقرانيون وتمكنوا من اغتياله في قرية بني مليكش، فخلصوا الفرنسيين من عدو شرس وجدوا صعوبات جمة في القضاء عليه وعلى ثورته.[71]

ويقول رين إن الخليفة المقراني استعاد تقريبا كل المناطق التي كانت تابعة لنفوذ الأسرة، من دون حدوث أية مشاكل تذكر، حيث يقول إنه أظهر براعة كبيرة في التأثير على عدة قبائل في نواحي بوسعادة، أين كان يُستقبل بحفاوة حينما كان مرافقا للجنرال الفرنسي سيلاق Sillègue سنة 1843.[72] ولكن يبدو أن الخليفة واجه صعوبات كبيرة في بعض المناطق كبني عيدل وبني عباس وإيغيل علي التي كان سكانها أوفياء لخصمه عبد السلام المقراني.

ونظرا للدور الذي لعبه الخليفة وتحكمه في الوضع بفضل شخصيته المؤثرة وذكائه، وبراعته القتالية، فقد أعلنت فروع من الأسرة كانت مناهضة للاحتلال الفرنسي سنتي 1843 و1844 وهي فرع أولاد القندوزوأولاد بورنان وأولاد عبد السلام ولائها له. وكانت هناك صعوبات جديدة مع الخليفة الذي لم يكن راغبا في أن يعيد إليهم الأراضي التي استولى عليها، والتي كانوا يحرثونها منذ فترة طويلة، حيث بدا الأمر الرسمي الذي أعطي إياه للسماح لأبناء عمومته بفلاحة أراضيهم غريبًا وغير عادل ومجحف، غير أنه استجاب للأمر بالنسبة للفرعين الأولين، وهو مغتاظ، ورفض تنفيذ الأمر بالنسبة لفرع أولاد عبد السلام، مما جعلهم يتجمعون بزعامة عبد السلام لإثارة المشاكل للخليفة أحمد في إقليم حكمه، فقاموا بقطع الطريق المؤدي من البرج إلى سطيف وكانوا يحرضون القبائل، ليس للثورة على سلطات الاحتلال، وإنما لخلق متاعب للخليفة المذكور حتى يظهر امام الفرنسيين عاجزا عن إدارة شؤون إقليمه.[73]

وقد شرعت السلطات الفرنسية بالفعل في تقويض نفوذ أسرة المقراني تمهيدا للقضاء عليها نهائيا، وذلك من خلال مجموعة من الإجراءات التي يسميها رين إصلاحات[74]فعمدت لإحاطة منطقة نفوذ الخليفة أحمد المقراني بدوائر ومراكز استعمارية وضعت عليها قادة فرنسيين من ذوي الرتب المتواضعة، مما جعل الخليفة يشعر بأن فرنسا فعلت ذلك لإهانته وكذا لمراقبته عن كثب، حيث أسست سنة 1849 مركزا للحراسة في بوسعادة، وعينت حاكما على برج بوعريريج سنة 1857، وفي سنة 1868 أسست بلدية مختلطة في برج بوعريريج، وهذا يندرج ضمن تقليص نفوذ المقراني والتقليل من صلاحياته، وكان الباشاغا ينظر إلى مكانته ومركزهومكانة أسرته وهي تتهاوى أمامه بمرارة، وفي الواقع كانت الإدارة الاستعمارية تدفعه دفعا للثورة والتمرد، من خلال هذه الإجراءات، مما يقوي الرأي الذي يذكر أن العسكريين هم من كانوا يحرضون المقراني على الثورة لأنهم كانوا يعارضون

تأسيس حكم مدني في الجزائر.[75] ويدافع رين عن هذه الإصلاحات حين يذكر أن الباشاغا المقرانيلم يستطع فهم المخططات الفرنسية، وأنه يريد التمسك بالتقاليد القديمة في الحكم، وكانت السلطات الفرنسية حسبه تنظر إلى المصلحة العامة بينما كان هو يدافع عن مصالحه الخاصة، حيث لم يتوقف عن تقديم الشكاوي وإبداء امتعاضه من هذه السياسة.[76]

وعلى أية حال، ساهمت عوامل كثيرة منها ما يتعلق بالوضع العام في الجزائر وفي منطقة نفوذ الأسرة، ومنها ما يتعلق بشخص الباشاغا المقراني مباشرة، ولما كان موضوع ثورة المقرانيين سنة 1871 طويلا ومتشعبا وشائكا في الوقت نفسه، كان يحتاج لبحث معمق، على الرغم من أن كثيرا من المؤرخين المحليين والأجانب تعرضوا له، ولذلك نكتفي في هذا المقام بتلخيص أهم العوامل التي دفعت الباشاغا المقراني لرفع السلاح في وجه الفرنسيين وهي التالية:

-الحالة الاجتماعة المزرية للسكان بسبب المجاعات المتوالية منذ 1865 إلى غاية 1869

-استفحال أمر تنصير الجزائريين على يد الكنيسة.

-استهداف النظم والتقاليد الجزائرية واستبدالها بالتقاليد والنظم الفرنسية.

-إلغاء النظام العسكري واستبداله بنظام مدني 1870.

-اتهام الباشاغا بأن له علاقة بثورة بوبغلة[77] وهو بريء من التهمة.

-قضية الديون التي استدانها الباشاغا من البنك ومن بعض السماسرة اليهود لتقديمها للفلاحين الأهالي، عقب المجاعات المرعبة التي عرفتها البلاد، وتنصل الحكومة الفرنسية من تسديد تلك الديون كما وعدته.[78]

-اتهام الباشاغا بضلوعه في مقتل 4 عمال أوروبيين كانوا يعملون على مد الطريق الذي يربط بين قسنطينة والجزائر.

-صدور قانون كريميو 1870 الذي نص على منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائروكانوا في حوالي 38 ألف يهودي.[79]

-تداول خبر انهزام الجيوش الفرنسية أمام بروسيا الفتية في حرب السبعين، أدى إلى انهيار الأسطورة التي كان الفرنسيون يروجون لها وهي أن الجيش الفرنسي لا يمكن قهره.

لما ازداد الضغط على الباشاغا المقراني من جميع النواحي، ووجد نفسه من دون صلاحيات ولا سلطة، بعدما جردته السلطة الفرنسية منها، وكانت الهوة تتعاظم بينه وبين السلطات الفرنسية يوما

بعد يوم، وكانت شكاويه لا تلقى التجاوب ولا الآذان الصاغية، شعر بالإحباط وأدرك أنه لا وجود لمخرج من هذه الوضعية المزرية إلا بالثورة وحمل السلاح، فقدم استقالته التي لم تقبل عدة مرات، لكنه في المرة الأخيرة في يوم 9 مارس 1871كان مصمما على الاستقالة وقطع كل اتصالاته بالسلطات الفرنسية، وفي 14 مارس أعلن عن انطلاق الثورة،[80] وبعد أشهر قليلة، أقحم شيخ الطريقة الرحمانية الشيخ الحداد في الثورة لضمان نجاحها، وإضفاء الشرعية الجهادية عليها، وبالرغم من تمكن السلطات الفرنسية من القضاء على الثورة بوحشية وبصعوبة كبيرة، إلا أن الثورة أعطت دفعا قويا للشعب آنذاك، حيث لم تتوقف الثورات الشعبية حتى مطلع القرن العشرين.

خاتمة:

من خلال هذا العرض القصير، يمكننا أن نستنتج مكانة أسرة المقرانيين محليا، والدور الذي لعبته في الدفاع عن مدينة الجزائر ووقوفها إلى جانب الحاج أحمد باي قسنطينة في محنه رغم الانقسام وحالة التمزق التي كانت الأسرة تعاني منها، هذا الانقسام الذي استغله الحكام الأتراك لضرب قوة الأسرة، عمل الفرنسيون على استغلاله أيضا، واستطاعوا أن ينفذوا إلى الأسرة، وتمكنوا من استمالة شيوخها إلى جانبهم، واغتنموا هم كذلك الشقاق الذي كان بين شيوخ الأسرة وفروعها ووظفوه لخدمتهم، وبذلك لعب شيوخ الأسرة دورا كبيرا في تمكين الاحتلال من ربط بايلك الشرق الجزائري بالمناطق الأخرى، عندما مكّنهم شيخ مجَّانة أحمد المقراني من عبور مضيق بيبان الحديد، غير أن نهاية الأسرة كانت مشرفة من خلال الثورة التي هددت الكيان الاستعماري في الجزائر سنة 1871، الأمر الذي جعل الكاتب الفرنسي لويس رين يسمي عام 1871 عام المقراني الطويل، وكانت نهاية الأسرة مأساوية حيث عانت التمزق والتشرد والنفي خارج الوطن.

هوامش الدراسة

1. Charles FERAUD, Histoire des villes de Constantine – Bordj Bou Arreridj, in, R. S. A. C, Constantine, 1872, p.197.
2. Louïs RINN, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger: Librairie Adolphe Jordan, 1891, p.15.

للإطلاع أكثر على تفاصيل اغتيال السلطان سيدي ناصر راجع: لخضر بوطبة، أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني 1518-1837، ماجيستر في التاريخ المعاصر، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2006.

3. الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، الجزائر: مطبعة فونتانا، 1908، ص8.

4. زالت إمارة بني عباس في حوالي عام 1624 بمقتل السلطان سيدي ناصر على يد بني عباس، ثم أسس ابنه أبو التقى مشيخة مجانة يقول الورتلاني بهذا الصدد: «وقد عمرت هذه المملكة (يقصد الإمارة) ثمانون عاما، حيث زالت بمقتل سيدي ناصر على يد بني عباس حسب اعتراف أحد علماء القلعة».أنظر الورتلاني، المصدر السابق، ص8.

5. Charles FERAUD, op, cit, p.201.

6. لعبوا دورا كبيرا في إخضاع تقرت وورقلة والزاب على يد صالح رايس، كما لعبوا دورا فعالا كذلك في التدخل في المغرب الأقصى والإطاحة بأحد ملوك السعديين، أنظر:

Fray Diego DE HAEDO, Histoire des Rois d'Alger, traduit de l'Espagnole par Henri de Grammont, in R.A, n°25, 1880 -1881, p.27.
Louis DEL.MARMOL Y CARVAJAL, Description générale de L'Afrique, trad. par Nicolas Perrot sieur DABLANCOURT, t. 1, Paris : (s.é.), (s.a), p.425.

7. لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية راجع، أرجمند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجة عبد الجليل التميمي، ط2، تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1970. وكذلك، حمدان خوجة، المصدر نفسه. وعبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي(1816-1871)، ط1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1972.

أنظر كذلك: Pierre BOYER, la Conquête de l'Algérie, in Initiation à l'Algérie, Paris : Librairie d'Amérique et d'Orient, 1957.

8. حول موضوع الغزو الفرنسي للجزائر راجع:

أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، الجزائر: م. و. ك، 1992.

شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.

محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، القاهرة: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

9. عمار هلال، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)، الجزائر: د. م. ج، 1995.

10. القوم هي قوة إضافية محلية توفرها القبائل للبايلك عند الحاجة.

11. Ch. FERAUD, op. Cit, p.304.

أنظر كذلك، يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، الجزائر: م. و. ك، 1986.

12. كانت قبيلة أولاد عبد النور من القبائل النافذة في بايلك الشرق الجزائري حيث تمتعت خلال العهد العثماني بنفوذ ومكانة كبيرين، وكانت من بين القبائل الحليفة المهمة بالنسبة لحكومة البايلك، وترجع قوتها إلى الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به حيث المساحات السهلية الواسعة فكانت قبيلة تعتمد على إنتاجها للحبوب وكذا تربية المواشي نظرا لوفرة السهول الرعوية، كما ترجع أهمية القبيلة إلى وقوعها في الطريق السلطاني الرابط بين مدينة قسنطينة عاصمة البالك بمدينة الجزائر مقر الحكم المركزي، وقد خص الرائد الفرنسي شارل فيرو هذه القبيلة على غرار باقي القبائل القوية بدراسة وافية تتبع من خلالها أخبار القبيلة وتاريخها أنظر،

Charles FERAUD, Origine et Historique des Ouled Abd Nour, AOM, Aix-en-Provence, France.

13L. RINN, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger: Librairie Adolphe Jordan, Alger, 1891, p.15.
14. Mouloud GAID, Mokrani, Alger: Edition Andalouse, 1993, p.38.
15. L. RINN, op. cit, p.18.
16. Ch. FERAUD, op. cit, p. 307.

17. وأصله من جزيرة كريت، حكم بايلك قسنطينة لمدة سنتين وستة أشهر(من شهر جويلية 1822م إلى ديسمبر 1824م)، عزل من طرف الداي حسين. لمزيد من المعلومات راجع، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، الجزائر: م. و. ك، 1992، ص145 ومايليها.

18.أحميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1827- 1840)، ط1، قسنطينة: دار البعث، 1987، ص133.

19. Ch. FERAUD, op. Cit, p.309.

20. وذلك بعد وفاة الشيخ ابن عبد الله في عام 1830م.

21. هو شخصية من أصل تركي يدعى يلس الذي كان مجرد جندي انكشاري جاء إلى برج زمورة وبعد ذلك عين قايد على أولاد دراج في منطقة الحضنة ولما توفي ترك خمسة أبناء منهم أحمد خوجة الذي خلف والده على قيادة أولاد دراج، ولما توفي هذا الأخير ترك خمسة أبناء وهم إبراهيم ويلّسْ وصالح ومحمد خوجة وبن هني، وفي عهد أحمد باي قسنطينة عين صالح بن يلس على قيادة عموشة ومحمد خوجة على البابور، لكن سلطتهما كانت إسمية فقط، لأن سكانهما لم يكونوا يخضعون لسلطة الباي.أنظر،

Charles FERAUD, histoire des villes de Constantine – Sétif, in : R. S. A. C, Constantine, 1872, pp 136-137.

22. عزله الباي أحمد من مشيخة عرب الصحراء وعين مكانه صهره الحاج بوعزيز بن قانة، فأصبح من أعداءه، واتصل بالفرنسيين وأعلن خضوعه لهم واستعداده للتعاون معهم للإطاحة بأحمد.

23 . تحول إلى عدو ومحارب للباي أحمد لأنه قام بعزله من مشيخة فرجيوة.

24. GOUVION, op. Cit, p.70.

أنظر كذلك، حميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص198.

25. Ch. FERAUD, op. Cit, p.310.
26. Ernest MERCIER, le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection de 1871, Paris : (s.é.), 1900, p.11.
27. Ch. FERAUD, op. Cit, p.304.

أنظر كذلك:

A. Dj. TEMIMI, op. Cit, p.115

28. Ch. FERAUD, op.cit, p.310.
29. Marcel EMERIT, les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de Constantine, in : RA n° 49, 1905, p105.

راجع كذلك، محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة، ص69.

30. صالح فركوس، المرجع السابق، ص289.

31. لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية على قسنطينة يراجع، عبد الكريم بجاجة، معركة قسنطينة، 1836-1837، تعريب محمد الهادي لعروق، الجزائر: دار البعث، 1984.

32. L. RINN, op. cit, p.16.
33. M. EMERIT, op. cit, p.105.

أنظر كذلك: يحي بوعزيز، ثورة 1871، ص48.

34. M. GAID, Mokrani, p.42.

35. تقع هذه القبائل بجوار قلعة بني عباس، ولا تبعد عنها كثيرا.

36. L. RINN, op.cit, p.21

37. يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص50.

38. TEMIMI, op.cit, p.115.

39. أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 155 وما يليها

40. حول شخصية الأمير عبد القادر ومقاومته، أنظر:

محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، بيروت، دار اليقظة العربية، ط2، 1964.

أنظر كذلك:

هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ش و ن ت، 1982.

41. محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر،الجزائر: ش و ن ت، 1982، ص126.

أنظر كذلك، أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 166 وما يليها.

42. محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، الإسكندرية: (د.ن)، 1903، ص200.

43. محمد بن الصالح العنتري، فريدة منيسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها أو تاريخ قسنطنة، مراجعة وتقديم وتعليق، يحي بوعزيز، الجزائر: د. م. ج، 1991.

44. محمد بن الأمير، المرجع نفسه، ص200.

أنظر كذلك، ناصر الدين سعيدوني، العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاسها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد الثاني، 1986، ص57 وما بعدها.

45. Ch. FERAUD, op. Cit, p. 311.

46. كان الشيخ بوعكاز بن عاشور يقاتل إلى جانب الباي ولما سقطت مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين أعلن خضوعه للفرنسيين وتعاونه معهم.

47. Colonel Robin, l'insurrection de la grande Kabylie en 1871, Alger : (s.é.), 1901, pp.96-98.

48 . قتل بن يلس في إحدى المعارك التي كان يخوضها الجيش الفرنسي ضد ريغة القبالة لإخضاعها.

49. L. RINN, op.cit, p.23.

أنظر كذلك،. Paul BOURDE, A travers l'Algérie, Paris : G. Charpentier, 1880, p.175

50. محفوظ قداش، جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته، ترجمة حسن بن مهدي، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، عدد 75، 1983، ص65.

51. Ch. FERAUD, op.cit, p.312.
52. M. GAID, Les Béni Yala, p.59.

53. يحي بوعزيز، ثورة 1871، ص 51.

54. CARETTE, op.cit, p.127.
55. L. RINN, op.cit, p.22.

أنظر كذلك: يحي بوعزيز، ثورة 1871، ص50.

56. E. CARETTE, op.cit, t1, p.126.
57. Reynaud DE PELISSIER, Annales Algériennes, vol, I-II-III, Alger : (s.é.), 1836, p.291.

58. حميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص198.

59. R. DE PELISSIER, op.cit, p.291.
60. Ch. FERAUD, op.cit, p.317.
61. L. RINN, op, cit, p.22.

62. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، عين مليلة: دار الهدى، 2009، ص47.

63. يحي بوعزيز، المرجع نفسه ، ص47.

64. L.RINN, op, cit. p.36.

65. شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، مج1، الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871، الجزائر: دار الأمة، 2008، ص779.

66. لمزيد من التفاصيل أنظر، شريف بن حبيلس، الجزائر كما يراها أحد الأهالي، ترجمة: عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2009، ص104.

67. المصدر نفسه، ص 780.

68. يحي بوعزيز، المرجع السابق.

69. L. RINN, op, cit, p.124.
70. Ibid. p32.

71. يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر،الجزائر: دار البصائر، 2009، ص124.

72. L. RINN, op, cit, p.28.
73. Ibid. p.29.

74. أورد الكاتب الفرنسي رين كرونولوجيا الأحداث التي سبقت ثورة المقراني بالتفصيل في كتابه تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، حاول استعراض حيثيات هذه الأحداث، من خلال الغوص في تفاصيل تخص تاريخ الأسرة عامة والباشاغا محمد خاصة، فتارة نجده يهاجمه ويصفه بأنه لم يتمكن من إدراك عمق السياسة الفرنسية، وتارة أخرى ينصفه حين يصفه بالذكي والشجاع والقادر على الإدارة ومواجهة الصعاب. لمزيد من المعلومات أنظر: L. RINN, op, cit, pp35-56.

75. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 246-247

76. L. RINN, op, cit, pp35-36.
77. Ibid., p.34.

78. حول هذه المجاعات راجع:

André NOUSH,Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête Française jusqu'en 1919, Paris : (s.é.), 1961, p.199 à 232.

وكذلك يحي بوعزيز، ثورات المقراني والحداد، ص ص236-268.

79. يحي بوعزيز، المرجع السابق،244.

80. المرجع نفسه: ص 246-247.